(أخلاقيات السعادة)

ما الذي يضمن للإنســان استدامة سعادته الحقيقية؟!

إن الإيمان بما يشمله من معارف، وقيم، وأخلاق؛ يوضح حدود وأبعاد الدور الإنساني في الكون، والحياة. وفي الوقت نفسه يحقق قدرة كبيرة على صياغة المفاهيم الضرورية لبناء فاعلية الإنسان، وتشكيل دافعية السعادة لنفسه، ومن حوله . إن الإيمان هو الذي يحفظ الإنسان من المخاوف، ويحقق له الأمان، والاطمئنان قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش:4]

الحمـد والشـكر:

إن الحمد والشكر هو المحور الجوهري في تحسين الذات الإنسانية؛ ففي كل صباح ينعم الإنسان بنور الشمس، وطلعة النهار، وروعة الأشجار، ومهد الأرض، ورعاية النفس، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾[إبراهيم: 32:34] فتوجب علي الإنسان إلقاء تحية الحمد، والامتنان لخالقه؛ ومن ثم الشكر لكل شيء حوله؛ مما ينعكس على توسع قلبه، وزيادة مشاعر سعادته اليومية.

التوكل والرضا:

إننا نبالغ في محاولة السيطرة على كل ما يجري في حياتنا! ونغفل عن القوة التي سوف نكتسبها إذا ما وضعنا ثقتنا في خالقنا سبحانه، وتوكلنا عليه. عندما نتخذ عادة أن نقوم بكل ما يمكننا القيام به والأخذ بالأسباب، مع تسليم أمرنا إلى الله سبحانه وتعالى، وأن نستشعر أن كل شيء سيكون على ما يرام؛ عندها تنعش حياتنا بمشاعر السلام والطمأنينة ، وذلك هو المدخل الأساس للسعادة، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان:22]

الصـلاة:

إنه لا يخلو دين، أو تقليد روحي في العالم من الصلاة؛ فيتوجه البشر إلى التواصل مع خالقهم من خلال الصلاة . وتأخذ الصلاة أشكالاً متعددة: نصلي في أوقات الشدة؛ فنطلب الراحة، والإرشاد، والشفاء، والطمأنينة لأنفسنا. وفي أوقات أخرى عندما يغمرنا الحب، والجمال،

والنعم؛ فنمجد الخالق، ونشكره على عطاياه. ومهما تعددت الأسباب التي تدفعنا إلى الصلاة، لكن فعل الصلاة نفسه هو الذي يفتح لنا قناة الاتصال والسعادة. قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ [المعارج19: 23]

الوفرة:

إن في الكون كل ما يحتاجه الإنسان باستمرار، وهو مليء بكل هذه العطايا والمزايا؛ لذا فالكون مليء بالفرص المستمرة والمتتالية. ولكن يحدث أن البعض لا يحالفه الحظ في هذه الفرص، حيث أن تعريف الحظ هنا هو: وجود الفرص مع الاستعداد.. لذلك تفوت بعض الفرص على الإنسان بسبب عدم استعداده هو لها، وتحضره لنيلها وتطويره لنفسه لها؛ وكما جاء في القرآن الكريم قول الله سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ:39]

المعنى:

إن مقومات الشعور بالسعادة أهمها هو الهدف الواضح في الحياة، والمعاني التي يتمسك بها الإنسان، ويعمل من أجل تحقيقها بفرح؛ الهدف الأسمى هو سقف بناء سعادتك. إن الساعات، والأيام، والسنين.. ليست هي التعداد الحقيقي لعمر الإنسان! إن هذا العداد يقيس شكل الحياة.. العمر الحقيقي للإنسان يقدر بمقاييس أخرى كثيرة: تحقيق الإنجازات، وما يضيفه الإنسان في الحياة من الأعمال العظيمة، والإبداعات، والإضافات الجميلة؛ هو ما يشكل قيمته. إن مَلْأَنا لحياتنا بالأعمال التي تنفع الحياة، ونجد أثرها في الدنيا والآخرة، هو الذي يجعل حياتنا تطول؛ بالسعادة التي يتركها العمل في نفوسنا، وبالأجر والثواب العظيم الذي ننتظره من الله يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ **[النحل:97]**

العطاء:

وهو القيمة المضافة في عمر الإنسان؛ وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ

﴿وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل:5-7] و العطاء ليس فقط ما يطلبه الناس، وإنما ما يحتاجون إليه حتى دون أن يطلبوا؛ كالأب الذي يعطى لابنه ما يحتاجه، ولا ينتظر حتى يطلب.

والعطاء الحقيقي هو عطاء بفرح؛ وقديمًا كان الناس يعطون ما يسمى بالبكور: أي أوائل الأشياء، فيُعطي الشخص أول نتاج زرعه، أو غنمه، كما يُعطي أول ثمار شجره؛ وهكذا يبارك الله كل أمواله في حقله.

إن فضيلة العطاء، ليست فقط في الجانب المادي، فهناك نوع آخر هو العطاء المعنوي: كمن يُعطي كلمة عزاء لإنسان حزين، أو يُعطي كلمة تشجيع لمن هو يائس، أو يُعطي عبارة حنان لطفل يتيم، أو كلمة منفعة لمن يحتاج إليها، ومثل ذلك من الأمور.. كذلك يوصف بالعطاء من قدموا للناس فكرًا نافعًا، أو فنًا مفيدًا، أو علمًا، وكان له تأثيره في راحة الناس، أو في علاجهم، أو في تعمير الأرض.

إن الذين يملكون طاقات يستفيد منها الآخرون، ولا يبذلونها، بحيث يجمّدونها لحساباتهم الخاصّة، أو يفرّطون بها، هم مقصرون تجاه مجتمعهم، وإنسانيّتهم؛ لأنّ طاقات الأفراد هي طاقات للجميع، ولهذا سيقفون للحساب، والمسؤوليّة بين يدي الله يوم القيامة؛ وفي الحديث النبوي الشريف، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ» (رواه الترمذي).